

تمام حسن والدرس اللساني النصي العربي

- د. خالد حسن العدواني¹

الملخص

في هذا البحث سوف نقوم بتسليط الضوء على جهود تمام حسن في مجال دراسة النص العربي في ضوء عنصرين فقط من عناصر هذه النظرية، وهما عنصر السبك Cohesion، وعنصر الالتحام Coherence.

أما الخطة التي سوف نسلکہها لبلوغ هذه الغاية، فتقوم على استعراض جهود تمام حسن في مجالين أساسيين: الأول هو السبك في النص العربي، والثاني هو الالتحام في هذا النص.

الكلمات المفتاحية: تمام حسن، السبك، الالتحام، الدرس اللساني النصي.

المقدمة

الواقع أن تمام حسن لم يقصر جهوده في ميدان الدرس النصي للغة على تتبع عناصر النظرية النصية التي أرسى أسسها روبرت دي بوجراندي Robert De Beaugrande، الأستاذ بجامعة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل إن الدارس يستطيع أن يجد في كتاباته أيضاً محاولة جادة لدراسة النص العربي في ضوء عناصر هذه النظرية.

وفي هذا البحث سوف نقوم بتسليط الضوء على جهود تمام حسن في مجال دراسة النص العربي في ضوء عنصرين فقط من عناصر هذه النظرية، وهذان العنصران هما

¹ أستاذ مساعد بمعهد اللغات الحية في جامعة ماردين آرتقو في تركيا

عنصر السبك Cohesion الذي "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية Surface على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق progressive Occurrence بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي Sequential Connectivity وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط"¹، وعنصر الالتحام Coherence الذي "يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي Conceptual Connectivity واسترجاعه"².

أما أهمية هذه الدراسة فتأتي من كونها تحاول أن نتلّس جانباً من صورة الدرس اللساني النصي العربي من خلال الوقوف على جهود واحد من أهم اللسانيين العرب، في هذا الباب، وهو الأستاذ الدكتور تَمَام حَسَّان رحمه الله.

جهود تَمَام حَسَّان في مجال دراسة السبك في النص العربي

إنّ الدارس لا يحتاج من أجل عرض جهود تَمَام حَسَّان في هذا المجال أن يبحث في كلّ ما كتبه هذا الرجل، بل يكفي أن يولي وجهه شطر بحثه المسمّى (ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي)، حتى يجد كلّ ما يريد في هذا الشأن؛ إذ سوف يجد في هذا البحث دراسة مركزة لهذا الموضوع، يفرق فيها تَمَام حَسَّان بين ثلاثة أشكال من الربط في النص العربي، وهذه الأشكال هي على الترتيب: الربط بالأداة، والربط بإعادة عنصر لفظي، والربط بالإحالة إلى مفهوم أو مذكور سابق.

الربط بالأداة: وقد جاء كلام تَمَام حَسَّان، في هذا المقام، موزعاً على ثلاث مراحل أساسية: الأولى تكلم فيها على الربط بالأدوات الداخلة على صدور الجمل، وأهم ما جاء في كلامه ههنا نقطتان: الأولى هي بيان أنّ الأداة تقوم بوظيفة الربط بين عناصر الجملة من خلال أنّ معناها ينسحب على كلّ ما دخل في حيزها من عناصر

¹ النص والخطاب والإجراء، ص 103.

² المصدر نفسه، ص 103.

هذه الجملة،¹ والثانية هي بيان الآلية التي يتحقق فيها هذا الربط بالأداة في كل شكل من أشكال الجملة العربية، فوقف أولاً عند ما يقترن بالأداة من أشكال الجملة الخبرية، من مثل الجملة المنفية والجملة المؤكدة، ثم وقف بعد ذلك عند الجملة الشرطية بنوعها: الإمكان والامتناعي، ثم وقف بعد ذلك عند ما يقترن بالأداة من أشكال الجملة الإنشائية بنوعها: الطلب والإفصاحي، من مثل الجملة الدالة على الأمر والمسبوقه باللام والجملة الدالة على النفي، والجملة الدالة على الدعاء سلباً، والجملة الدالة على الاستفهام، والجملة الدالة على العرض، والجملة الدالة على التحضيض، والجملة الدالة على التمني، والجملة الدالة على الترجي، والجملة الدالة على النداء، والجملة الدالة على الاستغاثة من النوع الأول، ومن مثل الجملة الدالة على التعجب، والجملة الدالة على الإغراء، والجملة الدالة على التحذير، والجملة الدالة على الندبة، والجملة الدالة على القسم من النوع الثاني.²

وأما المرحلة الثانية، فقد تكلم فيها على الربط بالأدوات الداخلة على الجملة لترابطها بما سبقها، وقد ذكر من أمثلة ذلك الأدوات الداخلة على الأجوبة من مثل (الفاء) الرابطة لجواب الشرط، و(الفاء) الواقعة في خبر الذي والتي والألف واللام، و(اللام) الواقعة في جواب لو ولولا، و(اللام) و(إن) و(قد) التي تقترن بجواب القسم في حال الإيجاب و(ما) و(لا) و(إن) التي تقترن به في حال السلب،³ والأدوات الداخلة على غير الأجوبة، من مثل واو الحال التي تنوّل مهمة ربط جملة الحال بما سبقها، ومن مثل الحروف المصدرية، وهي أن وأنّ وما ولو واللام، ومن مثل كي التي للتعليل وإذا.⁴

وأما المرحلة الثالثة، فقد تكلم فيها على الربط بالأدوات الداخلة على المفردات، وذكر

¹ مقالات في اللغة والأدب، 178/1.

² المصدر نفسه، ص 178-179.

³ المصدر نفسه، ص 180-182.

⁴ المصدر نفسه، ص 182-183.

من أمثلة ذلك حروف الجر والاستثناء والمعية والعطف، إذ رأى أنّ كل هذه الأشكال تساعد على تحقيق الترابط في السياق، فحرف الجر يفيد علاقة بين مجروره ومتعلقه، وحرف الاستثناء يدل على علاقة بين اسمين أحدهما مخرج منه والثاني مخرج، وحرف المعية يربط بين متلازمين أحدهما مدخوله، والثاني معنى المصدر الذي في الفعل وحرف العطف يربط بين المتعاطفين مع اختلاف في المعنى بين حرف وحرف من حيث مطلق المشاركة والترتيب أو التراخي والتعقيب... إلخ.¹

الربط بإعادة عنصر لفظي: وهذا الربط يتم، في رأي تمام حسان، بإحدى وسيلتين: الأولى هي المطابقة بين عناصر السياق من حيث الشخص والعدد والنوع والتعيين والإعراب، إذ رأى أنّ لهذه المطابقة قيمة كبيرة في ربط تلك العناصر، وقد مثل لذلك بإهدار المطابقة بين عناصر الجملة التالية (الأخوان التوءمان يتشابهان)، فرأى أنّ إهدار التثنية في المبتدأ يحول الجملة إلى لغو وكذلك إهدار التذكير في الفعل وإهدار الغيبة والتثنية فيه، ورأى أنّ إهدار التعيين في الصفة يحول الجملة إلى جملة أخرى غير مرادة، وأنّ إهدار الإعراب فيها يحول هذه الجملة إلى صورة مرفوضة.²

أما الوسيلة الثانية، فهي التكرار، وهنا نراه يتوقف عند ثلاثة أشكال لهذا التكرار: الأول أسماء تكرار اللفظ، وقد جعل من أمثله في القرآن الكريم ما نراه في قوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ" (سورة البقرة: 282)؛ إذ كرّر سبحانه وتعالى لفظ الجلالة، وجعل من أمثلة ذلك في القرآن الكريم أيضاً ما نراه في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ" (سورة الحجرات: 12)، إذ كرّر ههنا لفظ (الظن)،³ والثاني أسماء تكرار المعنى، وقد رأى أنّ ذلك يكون مع

¹ المصدر نفسه، 183-185.

² المصدر نفسه، ص 186-189.

³ المصدر نفسه، ص 189-191.

إجمال الأول وتفصيل الثاني،¹ وجعل من أمثله قولك: شعاري:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم²
وقوله تعالى: "دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (سورة يونس: 10)، والثالث أسماء تكرار المطلع، وقد ذكر
له أنواعاً عدة،³ منها التكرار للتأكيد، وقد جعل من أمثله في القرآن الكريم قوله
تعالى: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَتَفَرَّقُونَ" (سورة الروم: 14)، وقوله تعالى: "وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يُخَسِرُ الْمُبْطِلُونَ" (سورة الجاثية: 27)، ومنها التكرار للتذكير
بعد طول المطلع، وقد جعل من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ
مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ" (سورة البقرة: 89)، وقوله تعالى: "ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ" (سورة النحل: 110)، ومنها الإشارة إلى المطلع دون تكرار له، وقد جعل
من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" (سورة يونس: 58)، ومنها التكرار مع تعديل طفيف،
وقد جعل من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا
مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَظْمُونٌ بِالْإِيمَانِ وَلَئِنْ مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّن
اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (سورة النحل: 106)، وقوله تعالى: "فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ
تُرفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٣٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا
بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ..." (سورة النور: 36-37)، ومنها أخيراً التكرار بوساطة وصف

¹ المصدر نفسه، ص 191-192.

² ديوان المتنبي، ص 490.

³ مقالات في اللغة والأدب، 1/192-194.

المطلع، وقد جعل من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: "فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٠ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ۝١٥١ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٢ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٣ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۚ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٤ فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ... (سورة النساء: 155-160).

الربط بالإحالة إلى مفهوم أو مذكور سابق: وهذا الشكل من الربط يأتي في رأي الدكتور تمام على أشكال أيضاً،¹ منها الربط بضمائر الأشخاص، وهنا يمكن أن نجد ثلاث قضايا أساسية: الأولى هي الكلام على شروط الإضمار، وخلاصة كلامه ههنا هي أن الإضمار في اللغة العربية يتقيد بشرطين: الأول هو المطابقة في اللفظ، والثاني هو المطابقة في القصد، فإذا اختل أحد الشرطين وجب الإظهار، وقد جعل من أمثلة ارتباط الإضمار بهذين الشرطين ما نراه في قوله تعالى: "وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ" (سورة ص: 24)، إذ أشار إلى أن بين لفظ (داود) والاسم الذي قام مقامه الضمير العائد على هذا اللفظ (داود) تطابقاً من حيث اللفظ ومن حيث القصد، وأن ذلك هو الذي أجاز الإضمار،² والثانية هي الكلام على مرجع الضمير، وخلاصة كلامه ههنا هي أن مرجع الضمير قد يكون موجوداً في الكلام، وقد يكون غير موجود، فيفهم من السياق، وقد ذكر من أمثلة هذه الحال الأخيرة قوله تعالى: "إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۚ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۚ عُرُبًا أَتْرَابًا ۚ" (سورة الواقعة: 36)، وقوله

¹ المصدر نفسه، 1/195-203.

² المصدر نفسه، ص 196.

تعالى: "وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ" (سورة فاطر: 18)، إذ ليس هناك مرجع ظاهر للضمير الدال على جمع الإناث في الفعل (أَنْشَأْنَهُنَّ) في الآية الأولى¹ ولا مرجع ظاهر للضمير الدال على المفرد الغائب المذكور في الفعل (كان) في الآية الثانية، والثالثة هي الكلام على المسافة بين الضمير ومرجعه، وخلاصة كلامه ههنا هي أنّ الضمير قد يعود على مرجع قريب منه، وقد يعود على مرجع بعيد، وقد جعل من أمثلة هذه الحال الأخيرة قوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ ۖ إِذْ قَالُوا... (سورة يوسف: 7-8)، إذ رأى أنّ واو الجماعة في الفعل (قالوا) لا تعود على لفظ (السَّائِلِينَ)، وهو قريب، بل تعود على لفظ (الإخوة)، وذلك على الرغم من بعده.²

ومن أشكال الربط بالإحالة عند تمام حسان أيضاً الإشارة إلى المرجع، وقد ذكر أمثلة عدة لهذا الشكل من الربط في النص القرآني، منها، على سبيل المثال لا الحصر، الربط باسم الإشارة (ذَلِكَ) في قوله تعالى: "وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ" (سورة الأعراف: 26)، والربط باسم الإشارة (أُولَٰئِكَ) في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ" (سورة البقرة: 39).

ومن تلك الأشكال عنده أيضاً الربط بالموصول، إذ رأى أنّ الاسم الموصول قد يساعد على تحقيق الربط في الكلام، وأورد أمثلة عدة لذلك من القرآن الكريم، من مثل الربط بالاسم الموصول (مَنْ) في قوله تعالى: "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا" (سورة العنكبوت: 32)، والربط بالاسم الموصول (الَّذِينَ) في قوله تعالى: "وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ" (سورة الأنعام: 7)، والربط بالاسم الموصول (أَلْ) في قوله تعالى: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ

¹ المصدر نفسه، ص 197.

² المصدر نفسه، ص 197-198.

مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ" (سورة الشعراء: 173).

ومن تلك الأشكال عنده أيضاً الربط بأداة التعريف، ومن أمثلة ذلك عنده في كتاب الله العزيز ما نراه في كلمة (الْمَأْوَى) من قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" (سورة النازعات: 40-41)، إذ التقدير عنده: مأواه، وما نراه في كلمة (الْمَنَابِ) من قوله تعالى: "ذَلِكَ مَتَلَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَنَابِ" (سورة آل عمران: 14).

ومنها أخيراً ما أسماه الربط بالوصف، وقد قصد بالوصف ههنا اللفظ الواصف للرجع بحيث يدلّ عليه وليس اسماً له،¹ وقد ذكر أمثلة عدة لهذا الربط في القرآن الكريم، نكتفي بإيراد اثنين منها: الأول هو ما نراه في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" ٣٠ وَقُلْنَا يَتَدَبَّرُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٣١ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ... (سورة البقرة: 34-36) من استخدام لفظ الشيطان في النهاية مقام لفظ إبليس الذي ورد في البداية، والثاني هو ما نراه في قوله سبحانه وتعالى: "فَتِلْوُهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (سورة التوبة: 14) من استخدام عبارة (قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) مقام ضمير الخطاب الذي كان مستعملاً قبل ذلك.

جهود تمام في مجال دراسة الالتحام في النص العربي

الواقع أنّ تمام حسان قد عرض رأيه في هذا المجال في موضع واحد فقط من كتاباته، وذلك الموضع هو بحثه المسمّى (العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني) المتضمن في كتابه (البيان في روائع القرآن)، ثم في كتابه (اجتهادات

¹ المصدر نفسه، ص 203.

لغوية)؛ إذ نجد تمام حسان في هذا البحث يفرق بين أربع عشرة علاقة معنوية في فضاء النص العربي، وهذه العلاقات الأربع عشرة، هي:

علاقة السببية: وقد رأى أن المسبب مقدم على السبب في نطاق هذه العلاقة،¹ وقد جعل من أمثلتها في النص القرآني الكريم قوله سبحانه: "وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" (سورة البقرة: 57)، وقوله سبحانه: "قَالُوا أَذُغَ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا" (سورة البقرة: 70)، وقوله سبحانه: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْآبِيَّ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (سورة البقرة: 125)، إذ رأى أن التقدير في المثال الأول هو: أنزلنا لتأكلوا من طيبات ما رزقناكم، وأن التقدير في الثاني هو: لأن البقر تشابه علينا، وأن التقدير في الثالث هو: لتتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.²

علاقة التفسير: وقد أسماها أيضاً العلاقة التفسيرية،³ وهو يعني بها قيام جملة في النص بالكشف عن المقصود بجملة سابقة أو عنصر سابق،⁴ وقد جعل من أمثلة ذلك في النص القرآني الكريم قوله سبحانه وتعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (سورة البقرة: 6 من)، وقوله سبحانه وتعالى: "فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (سورة البقرة: 37-38)، وقوله سبحانه وتعالى: "وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ" (سورة البقرة: 96)، وقوله سبحانه وتعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" (سورة

¹ اجتهادات لغوية، ص 301.

² المصدر نفسه، ص 301-302.

³ البيان في روائع القرآن، 1/409.

⁴ اجتهادات لغوية، ص 302.

البقرة: 186)، وقوله سبحانه وتعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ^٢ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" (سورة الإخلاص)، إذ رأى أن جملة (لَا يُؤْمِنُونَ) في المثال الأول قد جاءت لتفسر التسوية، وأن جملة (أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا) في المثال الثاني قد جاءت لتفسر الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من الرب سبحانه، وأن جملة (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ) في المثال الثالث قد جاءت لتفسر شدة حرصهم، وأن جملة (أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ) في المثال الرابع قد جاءت لتفسر مدى قربهِ سبحانه وتعالى من عباده، وأن جمل (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ^٢ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) في المثال الخامس قد جاءت لتفسر معنى الصمدية.¹

علاقة التفصيل: وتأتي هذه العلاقة في الكلام مقترنة بإجمال،² وقد جعل من أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: "ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ" (سورة البقرة: 285)، وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ ۖ إِلَّا مَا يُتَنَلَّى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهَرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَيدَ وَلَا ءَامِينَ ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدُونِ ۚ وَأَقْبُوا ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۚ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ ۖ وَٱلْمُنْخَبِتَةُ وَٱلْمَوْفُودَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلتَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلتُّصْبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِٱلْأَزْلَمِ" (سورة المائدة: 1-3)، وقوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي ٱلْقُرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ ۖ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ

¹ المصدر نفسه، ص 302-303.

² المصدر نفسه، ص 303.

فَأَنْتَعِ سَبَبًا^{٨٥} حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ (سورة الكهف: 83-86)؛ إذ رأى أَنَّ المثال الأول ينطوي على موضعي تفصيل: الأول هو قوله تعالى (كُلُّ عَامَنَ) الذي جاء ليوضح إجمال قوله (وَالْمُؤْمِنُونَ)، والثاني هو قوله تعالى (بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) الذي جاء ليوضح إجمال قوله (بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِ)، وَأَنَّ المثال الثاني قد انطوى على موضع تفصيل واحد، وهو ذكر المحرمات الذي جاء ليوضح إجمال قوله (إِلَّا مَا يُتَنَّى عَلَيْكُمْ)، وَأَنَّ المثال الثالث قد انطوى على موضع تفصيل واحد أيضًا، وهو ذكر قصة ذي القرنين الذي جاء ليوضح إجمال قوله (سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)¹.

علاقة الحوار: وقد جعل من أمثلة ذلك في النص القرآني قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ^{٢٧} قَالُوا أَذْغَ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوْنُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ^{٢٨}" (سورة البقرة: 67-68)، وقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلَهَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّجِ" (سورة البقرة: 189)، وقوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ" (سورة البقرة: 219)، وقوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى" (سورة البقرة: 222).

علاقة الإضراب: وقد أسماها أيضًا علاقة النقص والإبطال،² وهي تقوم على إبطال كلام سابق يغلب أن يكون بالجلل الخبرية وقد يكون بغيرها،³ وقد أورد أمثلة عدة لها من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ^{١١} أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^{١٢}" (سورة البقرة: 11-12)،

¹ المصدر نفسه، ص 303-304.

² البيان في روائع القرآن، ص 412.

³ اجتهادات لغوية، ص 305.

وقوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ" (سورة البقرة: 13)، وقوله تعالى: "وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (سورة البقرة: 111-112)، إذ يتجلى الإضراب في المثال الأول في قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)، وفي المثال الثاني في قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ)، وفي المثال الثالث في قوله تعالى: (بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (سورة البقرة: 112-111)، إذ يتجلى الإضراب في المثال الأول في قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)، وفي المثال الثاني في قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ)، وفي المثال الثالث في قوله تعالى: (بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ).¹

علاقة الإلزام: وقد قصد بهذه العلاقة استعمال عبارات خبرية أو مصادر منصوبة أو نحو ذلك مما يفهم منه الإلزام بالحكم،² ورأى أن هذه العلاقة تتحقق في القرآن الكريم بعبارات مختلفة،³ منها عبارة (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ)، وقد ذكر أمثلة عدة لذلك في هذا النص الكريم، من مثل قوله تعالى: "الَّذِينَ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلُوا بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعٍ يَعْلَمُونَ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِن خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (سورة البقرة: 229)، وقوله تعالى: "فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (سورة البقرة: 230)، وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ

¹ المصدر نفسه، ص 305-306.

² البيان في روائع القرآن، ص 416.

³ اجتهادات لغوية، ص 306.

وَلَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا^١ (سورة الطلاق: 1)، ومنها أيضاً عبارة (كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)، وقد جعل من أمثلة ذلك في النص القرآني قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا^٢ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً بِأَمْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْنَهُنَّ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا^٣" (سورة النساء: 23-24).

علاقة الالتزام: وقد رأى أنّ البيان القرآني يعبر عن هذه العلاقة بطريقتين^١: الأولى هي استعمال لفظي (بَلَّغَ) و(وَعَدَ) مجتمعين، وقد جعل من أمثلة ذلك قوله تعالى: "فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ^٢ رُسُلَهُ^٣ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ^٤ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَتَبَرَّزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^٥ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ^٦ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ^٧ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ^٨ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ^٩ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ^{١٠}" (سورة إبراهيم: 47-52)، وقوله تعالى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ^{١١} وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ^{١٢} وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ^{١٣} إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ^{١٤}" (سورة

^١ المصدر نفسه، ص 307-310.

الأنبياء: 104-106)، والثانية هي استعمالهما متفرقتين، وقد جعل من أمثلة استعمال لفظ (بَلَّغَ) قوله تعالى: "وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" ١٠، فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَغَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ" ١١ (سورة الأحقاف: 34-35)، أما اللفظ الثاني فقد أورد أمثلة عدة لاستعماله في القرآن الكريم،¹ منها ما اقترن فيه هذا اللفظ بلفظ (حَقٌّ)، من مثل قوله تعالى: "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا" ١٢ (سورة النساء: 122)، وقوله تعالى: "فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" ١٣ (سورة غافر: 55)، وقوله تعالى: "وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ" ١٤ (سورة الأحقاف: 17)، ومنها ما اقترن فيه هذا اللفظ بلفظ (الصِّدْقُ)، من مثل قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ" ١٥ (سورة الأحقاف: 16)، ومنها ما اقترن فيه هذا اللفظ بلفظ (مَسْئُولٌ)، من مثل قوله تعالى: "لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا" ١٦ (سورة الفرقان: 16)، ومنها ما اقترن فيه هذا اللفظ بلفظ (مَأْتِي)، من مثل قوله تعالى: "جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا" ١٧ (سورة مريم: 61)، ومنها ما اقترن فيه هذا اللفظ بلفظ الجلالة (الله)، من مثل قوله تعالى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" ١٨ (سورة الأنبياء: 104)، ومنها ما اقترن فيه هذا اللفظ بلفظ (لَا يُخْلِفُ)، من مثل قوله تعالى: "فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

¹ المصدر نفسه، ص 307-310.

ذُو أَنْتِقَامٍ^{٤٧}" (سورة إبراهيم: 47)، وقوله تعالى: "لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ^{٤٨}" (سورة الزمر: 20)، ومنها أخيراً ما اقترن فيه هذا اللفظ بلفظ (غَيْرُ مَكْذُوبٍ)، من مثل قوله تعالى: "فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ^{٤٩}" (سورة هود: 65).

علاقة الملاسة: وقد حددها الدكتور تمام بنقطتين: الأولى هي أنها تعبر عن اتفاق أمرين أو شركتهما في الزمان أو المكان، والثانية هي أنها تتمثل نحويًا بالعلاقة التي تقوم بين الفعل والحال،¹ وجعل من أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: "وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ^{٥٠}" (سورة البقرة: 60)، وقوله تعالى: "يٰٓ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ^{٥١}" (سورة المائدة: 15)، وقوله تعالى: "وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^{٥٢}" (سورة يوسف: 69)، إذ رأى أن المثال الأول ينطوي على علاقة ملاسة بين انفجار العيون والعلم بالشارب، والثاني ينطوي على علاقة ملاسة بين محيي الكتاب ومحيي الرسول، والثالث ينطوي على علاقة ملاسة بين القول والإيواء.²

علاقة الشرط: وقد أسماها أيضاً العلاقة الشرطية،³ وجعل من أمثلتها في النص القرآني قوله تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْعَىٰ فِي خَرَابِهَا

¹ المصدر نفسه، ص 310.

² المصدر نفسه، ص 310.

³ البيان في روائع القرآن، ص 413.

أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^{١١٤} (سورة البقرة: 114)، وقوله تعالى: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصْرَفُ إِلَّا يَتِى ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ^{١١٥}" (سورة الأنعام: 46)، وقوله تعالى: "قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ^{١١٦} وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ^{١١٧}" (سورة التوبة: 52)، وقوله تعالى: "قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا^{١١٨}" قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى^{١١٩}" (سورة طه: 125-126)، وقوله تعالى: "قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ^{١٢٠}" قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^{١٢١}" (سورة الأنبياء: 53-54)؛ إذ رأى أن التقدير في المثال الأول هو: من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه لم يدخل هذه المساجد من بعد إلا خائفاً، وفي الثاني هو: إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم فلن يعيده إليكم غيره، وفي الثالث هو: إن كنتم لا تتربصون بنا إلا خيراً فنحن تتربص بكم العذاب، وفي الرابع هو: إن كان ذلك كذلك فقد استحقته بما فعلت، وفي الخامس هو: إن كانوا عبدوها فقد ضلوا كما ضللت¹.

علاقة الإنكار: وقد جعل من أمثلة ذلك في النص القرآني قوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا" (سورة البقرة: 275)، وقوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا" (سورة المائدة: 64)، وقوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ^{١٢٢}" ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ" (سورة البقرة: 84-85)، وقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا

¹ اجتهادات لغوية، ص 311.

جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ « فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْبُغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَتُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (سورة يونس: 22-23)؛ إذ رأى أنَّ المثال الأول ينطوي على إنكار لقولهم: "إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا" ، والمثال الثاني ينطوي على إنكار لقولهم: "يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ" ، والثالث ينطوي على إنكار لما قاموا به من عدم الالتزام بما واثقوا الله عليه، والرابع ينطوي على إنكار لما في موقفهم من التراجع عن العهد الذي قطعه أمام الله سبحانه.¹

علاقة الترتيب والتعقيب: وأكثر ما تبدو هذه العلاقة في توالي الأقوال في الحوار،² وقد ذكر لها أمثلة عدة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ" (سورة البقرة: 258)، وقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (سورة البقرة: 30).

علاقة الإجابة على سؤال وارد: وقد أورد أمثلة عدة لهذه العلاقة في النص القرآني؛ منها قوله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (سورة البقرة: 186)، وقوله تعالى: "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا" (سورة العنكبوت: 32)، وقوله تعالى: "أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (سورة ص: 17) إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ

¹ المصدر نفسه، ص 312.

² البيان في روائع القرآن، ص 414.

يُسَبِّحَنَّ بِالْعِثِّي وَالْإِشْرَاقِ^{١٨} وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلُّ لَهُرٍ أَوَّابٌ^{١٩} وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ^{٢٠} (سورة ص: 17-20)؛ إذ رأى أن قوله تعالى في المثال الأول: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) يمثل إجابة على سؤال تقديره عنده: ما معنى هذا القرب؟، وقوله تعالى في المثال الثاني: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا) يمثل إجابة على سؤال تقديره عنده: كيف تهلكون قرية يقيم فيها نبي؟، وقوله تعالى في المثال الثالث: (إِنَّهُ أَوَّابٌ...) يمثل إجابة على سؤال تقديره عنده بم يذكر داود؟¹

علاقة الموقف: إذا كان الدكتور تمام قد رأى في أحد المواضع من دراساته أن الموقف الذي يحيط بالنص قيمة كبيرة في فهم معناه لا تقل عن قيمة مكوناته اللغوية ذاتها،² فإنه في هذا الموضع يراه وسيلة مهمة من الوسائل التي يمكن للمبدع أن يعتمد عليها في تحقيق الترابط المعنوي بين عناصر نصه ويمكن للمتلقي أن يعتمد عليها في فهم هذا الترابط.

والواقع أن هذا الرجل لم يكتفِ بالوقوف عند حدود هذا القول النظري، بل إنه قد حاول أن يدعمه بأمثلة عدة من النص القرآني، نذكر منها قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ ثَمَرٌ لِّمَن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^{٣٠}" (سورة المائدة: 105)، وقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَّكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ^{٣١}" (سورة المائدة: 116-117)، وقوله الرِّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^{٣٢} (سورة المائدة: 116-117)، وقوله

¹ المصدر نفسه، ص 418-420.

² مقالات في اللغة والأدب، 86-65/2.

تعالى: "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ^{١٢} قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ^{١٣}" (سورة القصص: 62-63)، وقوله تعالى: "وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكِ أَلْهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ^{١٤}، قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ^{١٥}" (سورة سبأ: 40-41)؛ ففي كل هذه النصوص رأى الدكتور تمام أن الموقف هو العنصر الوحيد المسؤول عن تحقيق الترابط وعن فهم هذا الترابط، فلولا ما جاءت الجمل في كل نص من هذه النصوص بهذه الصورة من القصر وانعدام الروابط اللفظية، وما كان في وسع المتلقي أن يشعر بأن هذه الجمل تمثل وحدة مترابطة العناصر.¹

علاقة التناص: ومن علاقات الترابط المفهومي بين أجزاء النص عند الدكتور تمام أيضاً علاقة التناص؛ إذ رأى أن هذه العلاقة تحتل مكانة في مجال فهم بعض عناصر النص ببعضها الآخر، وأن علماء تفسير القرآن الكريم قد أدركوا ذلك منذ القديم فقالوا: القرآن يفسر بعضه بعضاً، ولكنه أخذ عليهم أن جهودهم في هذا الميدان لم تكن دقيقة دائماً، وقد استدلل على ذلك بما قالوه في تفسير الآيات من 13 إلى 27 من سورة (يس)؛ إذ رأى أن هؤلاء المفسرين قد أهملوا ما بين آيات القرآن الكريم من علاقات التناص، فقالوا: إن القرية هي إنطاكية، وإن المرسلين هم صادق وصدوق وشلوم أو شمعون، وقد أرسلوا بأمر من سيدنا عيسى عليه السلام لهداية أهل أنطاكية، ولو أنهم اعتمدوا على التناص الذي يلاحظ بين هذه الآيات وبعض الآيات الواردة في قصة سيدنا موسى عليه السلام لاختلف الأمر عندهم، ولرأوا أن ما تحكيه هذه الآيات يمثل جزءاً حقيقياً من قصة سيدنا موسى عليه السلام التي وردت في مواضع كثيرة من كتاب الله، إذ تكون القرية المقصودة في هذا المقام هي

¹ اجتهادات لغوية، ص 313-314.

أرض الكانة، مصر، ويكون المرسلون هم موسى عليه السلام وهارون عليه السلام والرجل الصالح الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ودعا الناس إلى الإيمان برسول الله عز وجل.¹

الخلاصة

لقد حاولنا في هذا البحث أن نقدم- جهد الاستطاعة- دراسة مركزة لجهود الدكتور تَمَام في مجال الدرس اللساني النصي العربي، وقد اخترنا أن يكون ذلك في مجالين فقط من مجالات هذا الدرس، وهذان المجالان هما السبك Cohesion والالتحام Coherence، أما النتائج التي توصلنا إليها من جراء ذلك، فيمكن أن نوجزها على النحو التالي:

1. إن تَمَام حَسَّان قد أولى جانبي السبك والالتحام في النص العربي عناية كبيرة تجلّت في محاولته الكشف عن أشكال الربط في هذا النص، من مثل الربط بالأداة، والربط بإعادة عنصر لفظي، والربط بالإحالة إلى مفهوم أو مذكور سابق، كما تجلّت في محاولته الكشف عن العلاقات المعنوية في فضاء هذا النص، من مثل علاقة السببية، وعلاقة التفسير، وعلاقة التفصيل، وعلاقة الحوار، وعلاقة الإضراب، وعلاقة الإلزام، وعلاقة الالتزام، وعلاقة الملازمة، وعلاقة الشرط، وعلاقة الإنكار، وعلاقة الترتيب والتعقيب، وعلاقة الإجابة على سؤال وارد، وعلاقة الموقف، وعلاقة التناص.

2. إنه، على الرغم من إفادته مما قاله دي بوجراند في شأن وسائل السبك Cohesion ووسائل الالتحام Coherence في النص اللغوي،² لم يطبق ما قاله هذا الأخير في هذا الشأن تطبيقاً حقيقياً، بل إنه قد اكتفى من ذلك بما يناسب

¹ المصدر نفسه، ص 315-319.

² النص والخطاب والإجراء، ص 103.

النص العربي، ثم أضاف إليه أموراً أخرى لم يذكرها دي بوجراند، استمدها من خصوصية هذا النص.

3. إنّ دراسته هذه لا يمكن أن تكون نهاية القول في مجال الحديث عن سبك النص العربي والتحامه، لكنها، في المقابل، يمكن أن تكون قاعدة مهمة لمن يريد أن يتوسع في دراسة هاتين الظاهرتين في هذا النص؛ فهي تقدم الكثير من الحقائق في هذا المجال.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. اجتهادات لغوية لتّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2007م
3. البيان في روائع القرآن لتّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000م
4. ديوان المتنبي، علّق حواشيه وفّسر كلماته اللغوية سليم إبراهيم صادر، دار صادر، بيروت، لبنان، 1926م.
5. مقالات في اللغة والأدب لتّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2006م
6. مقالات في اللغة والأدب لتّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2006م
7. النص والخطاب والإجراء لروبرت دي بوجراند، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2007م